العرب
الأربعاء 2021/06/09
السنة 44 العدد 12084

معرض القاهرة الدولي للكتاب يفقد برنامجه الثقافي والفني

قرارات صادمة: الدورة الـ52 تقتصر على القرّاء والناشرين والمنصّة الإلكترونية

بعد تردّد بين أمرين أحلاهما مُرّ هما: الإلغاء، والانعقاد المشروط، أسفرت اجتماعات اللجنة الثقافية العليا لمعرض القاهرة الدولي للكتاب برعاية وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم وحضور هيثم الحاج علي رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهي الجهة المنظمة للمعرض، عن اعتماد الاختيار الثاني، ليتم الإعلان رسميّا عن انطلاق الدورة الـ52 للمعرض في نهاية الشهر الجاري لكن بخيارات قاسية.

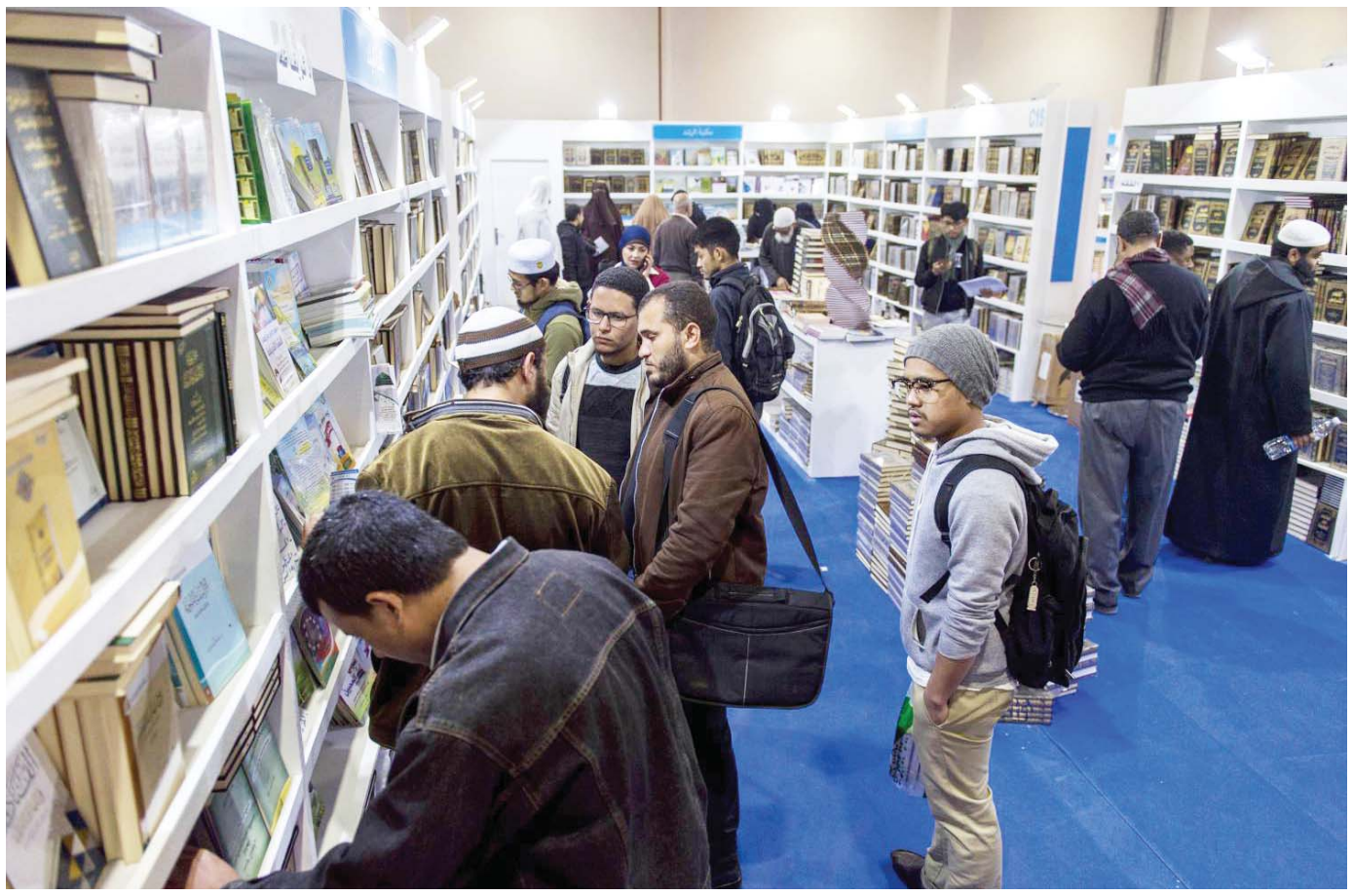

المعرض ليس مجرد سوق للكتب

شريف الشافعي
كاتب مصري

بعد شهور من الشدّ والجذب حول مصير الدورة الـ52 لمعرض القاهرة الدولي للكتاب المؤجلة من يناير الماضي، انتهت اللجنة الثقافية العليا للمعرض أخيرا إلى إقامتها في الفترة من 30 يونيو إلى 15 يوليو 2021 بمركز مصر للمعارض والمؤتمرات الدولية في التجمع الخامس بالقاهرة.

وبدعوى إنقاذ المعرض القاهري الأعرق من الإلغاء التامّ بسبب جائحة كورونا اتخذت اللجنة مجموعة من القرارات الصادمة والإجراءات المثيرة للجدل التي وضعت المعرض أمام جملة من العواصف والأزمات والتحديات.

> التحولات في طبيعة المعرض وفلسفته وسياسته تشير إلى اتجاهه صراحة إلى أن يكون مجرّد سوق للكتب

من أخطر هذه القرارات، غياب البرنامج الثقافي والفني، الذي طالما مَثّل سمة مميزة للمعرض، وَعَكَسَ شخصيته الفريدة ووجهه التنويري منذ انطلاقه عام 1969، في أثناء احتفال القاهرة بعيدها الألفي، فهل كانت النيّة مبيّتة للإطاحة بالنشاط الفكري للمعرض لصالح الجانب التسويقي؟

سوق للكتب

المحددات والترتيبات لتنظيم المعرض تعتبر قاسية من شأنها تغيير تركيبة المعرض كقوة ناعمة إشعاعية، لكنها وفق المنظمين أفضل المتاح في الوقت الراهن، لاعتبارات ماديّة في المقام الأول.

وفق هذه المستجدّات، تقرر تأجيل شخصيتي المعرض؛ يحيى حقي وعبدالتواب يوسف، والمحور الفكري "هوية مصر: الثقافة وسؤال المستقبل"، إلى الدورة التالية في العام 2022، واعتماد شعار جديد يلائم الدورة الحالية المقتصرة على الناشرين والقرّاء وبيع الكتب، هو "في القراءة حياة"، وإحالة جميع الفعاليات الثقافية والفنية إلى المنصة الإلكترونية دون حضور فعلي للضيوف المصريين والعرب والأجانب، في ما عدا حفل توزيع جوائز المعرض والنشاط المهني واجتماعات مديري المعارض.

وجرى الاتفاق على محاولة استيعاب الناشرين كافة الذين تقدموا بطلبات الاشتراك بالمعرض في المواعيد المقررة، وتحديد أعداد الزائرين يوميّا بالتنسيق مع الوزارات والجهات المعنية وفق الضوابط الصحية، وإقرار حجز التذاكر للجمهور إلكترونيا منعا للتزاحم مع التزام المنظمين والناشرين والجمهور بالإجراءات الاحترازية، واعتماد عقوبات تصاعدية على المخالفين.

وتشير هذه التحولات في طبيعة معرض القاهرة الدولي للكتاب وفلسفته وسياسته إلى اتجاهه صراحة إلى أن يكون مجرّد سوق للكتب، وهو التحوّل الذي كانت له شواهد واضحة خلال الدورتين السابقتين في 2019 و2020، على الرغم من عدم وجود أي إجراءات طارئة آنذاك، إذ لم يكن فايروس كورونا قد فرض تأثيراته بعد.

في الدورة الحادية والخمسين (22 يناير – 4 فبراير 2020)، عنيت إدارة المعرض بالمؤشرات الكمية، فكان الاهتمام الأوّل بإبراز حضور 4.8 مليون زائر لمتابعة عناوين قرابة ألف دار نشر من سائر الأرجاء، فيما تقلّص البرنامج الثقافي إلى حد بعيد كمؤشر للفعل الكيفي والتحقق النوعي، ولقيت الندوات والأمسيات المصاحبة كسادا وإهمالا، لاسيما مع كثرة اعتذارات الضيوف.

وشهدت دورة اليوبيل الذهبي في 2019 الشرارة الكبرى لتغليب الجانب التسويقي التسليعي للكتب والمنتج الفكري، على حساب القيمة الثقافية والرصيد التاريخي للمعرض وأنشطته، خصوصا وأنه جرى نقل المعرض وقتها إلى مكان بعيد في التجمع الخامس شرق القاهرة، ورفع أسعار الخدمات السياحية المقدمة للزوار مثل المأكولات والمشروبات، وكذلك رفع أسعار الدخول إلى خمسة جنيهات، وتقزيم سور الأزبكية الذي يعرض الكتب الرخيصة نسبيًا في ظل ارتفاع أسعار الورق والكتب، الأمر الذي خلع صفة الطبقية على الجمهور.

وبات المعرض هو "معرض الزيارة الواحدة"، بالنسبة إلى الكثيرين من غير القادرين، الذين لا يمتلكون مثل هذه النفقات، ولا التضحية بأجر يوم عمل كامل من أجل قضائه في هذا المكان النائي.

ضياع الرسالة

لا يبدو أن إجراءات مواجهة كورونا هي وحدها السبب في تخلي معرض القاهرة الدولي للكتاب عن برنامجه الثقافي والفني، فالكثير من الفعاليات المسرحية والسينمائية والتشكيلية الرسمية لا تزال تقام في مصر، مع تكييفها بضوابط ملائمة للظرف الصحي، دون إلغائها. لكنّ إدارة المعرض أخذت الحل الأسهل، والملائم لتوجهاتها في الوقت نفسه، وفق ما جرى في العامين الماضيين.

لقد كاد المعرض القاهري الذي اقترن قديما بأسماء قامات الفكر والأدب والفلسفة والسياسة والفن يتحول إلى ملتقى لاتفاقات الناشرين وصفقاتهم، ومتنزّه للمرفّهين، وفاترينة للإصدارات الدينية وروايات الناشئة وقوائم الأكثر مبيعًا والمطبوعات الاستهلاكية الضحلة، كما صار في آخر دوراته حديقة للمنافسات والمسابقات وألعاب الأطفال والنشاطات الرياضية والترفيهية والعروض المسلية الخفيفة المرحة، ومنفذ بيع للتحف والكريستال والإلكترونيات والأدوات المكتبية، وما إلى ذلك من لوازم تعويض البرنامج الثقافي الثقيل، بندواته ومناقشاته وقضاياه الجادة وأطروحاته الجريئة، التي ربما قد يتسلل منها "الرأي الآخر المُعارض" إلى قاعات النقاش، وهذا ما لا يُراد نهائيًا في المرحلة الحالية.

من ثمّ، فقد اتسم المعرض في العامين الأخيرين بأحادية الطرح الدعائي، وغياب الأسماء الكبيرة الفاعلة، وكثرت اعتذارات الضيوف في اللحظات الأخيرة بعد طبع البرنامج والإعلان عنه رسميًا، ما أصاب الندوات الجوفاء والأمسيات الشعرية بربكة إضافية، إلى جانب الأزمة الأساسية وهي خلو القاعات من الجمهور، الأمر الذي يعني عدم تمرير الرسالة الثقافية التي من أجلها أقيم المعرض في الأساس، واقتصار دوره على بيع الكتب، التي بدورها تخضع لمستجدات العصر، فلم يعد غريبا رواج عناوين تجارية من قبيل: "خطيبتي العذراء حامل"، و"شلّحْ هدومك يا زمن"، كما تكرّر كثيرا إلغاء الندوات والمحاضرات بسبب "الغياب التام للحضور".

إن إدارة معرض القاهرة للكتاب التي ستعقد بعض الفعّاليات الجديدة البديلة في دورة 2021 عبر "المنصّة الإلكترونية"، قد لجأت في حقيقة الأمر إلى تلك المنصة الافتراضية في الدورتين الماضيتين، وذلك على الرغم من وجود برنامج ثقافي فعليّ فيهما، الأمر الذي يؤكد أن هناك إهمالا متعمّدا لهذا البرنامج حتى حال انعقاده، ورغبة في تقليصه تدريجيًا، إلى أن حانت اللحظة المناسبة لإعلان إلغائه رسميًا، بدعوى إجراءات كورونا.

لقد شهدت قناة المعرض على يوتيوب وصفحته على فيسبوك في أثناء انعقاد دورتي العامين الماضيين نشر فيديوهات قديمة لندوات المعرض وأمسياته الرائجة بحضور أسماء من قبيل: محمود درويش، ونزار قباني، وحسنين هيكل، وسميح القاسم، وعبدالرحمن الأبنودي، وعادل إمام، ونادين غورديمير الحاصلة على نوبل، وغيرهم. ويبدو أن ذلك قد حدث تمهيدا لتحويل هذه النشاطات الحيّة المثمرة إلى "شريط ذكريات" يجري اجتراره على هامش المعرض، لكنه يبقى خارج أنسجته العضوية، وقد تحقق هذا الغرض في الدورة 52 لعام 2021 بإعلان غياب البرنامج الثقافي، وهو ما سيقود المعرض إلى المزيد من التراجع والتجريف.

كتاب جزائري يرصد التحولات الإيقاعية للقصيدة الخليجية المعاصرة

الجزائر – يحاول الباحث الجزائري بشير ضيف الله في كتابه "التمثّلات الإيقاعية للقصيدة الخليجية المعاصرة.. مقاربة أسلوبية وصفية تحليلية"، أن يرصد المقوّمات التي تُميّز القصيدة الخليجية عبر أربعة مباحث.

واستهلّ ضيف الله مبحثه بفصل تمهيدي تناول فيه البنية الإيقاعية وتحوُّلاتها الاصطلاحية والشعرية، ثم استعرض في الفصل الأول بنية الإيقاع الشعري وأشكاله الأسلوبية في القصيدة العمودية والحرة، ثم خصص فصلا لإيقاع قصيدة النثر الخليجية، خاتما كتابه بفصل أخير قدّم فيه مقاربة إحصائية للمُنجز الشعري الخليجي.

وتتّكئ هذه الدراسة الصادرة عن المركز الديمقراطي العربي على المُنجز الشعري لـ80 شاعرا وشاعرة، من بينهم 12 من سلطنة عمان، من بينهم سعيدة بنت الخاطر، وناصر بن منصور، وهلال الحجري، وحسن المطروشي، وبدرية الوهيبية، وعائشة السيفية، وصالح بن محمد الفهدي، وسيف الرحبي.

ويتناول الباحث تجارب 14 شاعرا وشاعرة من الكويت من بينهم سعدية مفرح، وعبدالعزيز سعود البابطين، وسعاد الصباح، وغيداء الأيوبي؛ و23 من السعودية، من بينهم غازي القصيبي، ومنتهى أحمد القريش، وأحمد اللهيب؛ و18 من الإمارات العربية المتحدة من بينهم حبيب الصايغ، وفاطمة المزروعي، وحسن علي النجار؛ و10 شعراء من البحرين، من بينهم قاسم حداد، وحمدة خميس، وبروين حبيب؛ و4 من قطر، من بينهم محمد علي قطبة، ومبارك بن سيف آل ثاني، وحصة العوضي.

ويؤكد ضيف الله أنّ هذا الكتاب "يُشكّل محاولة لرصد الظواهر والتحوُّلات الشعرية في شقّها الإيقاعي، خصوصا ما فلتَ عنها من إكراهات العروض الخليلي دون تجاوز النصوص الوفية له، خاصة من شعراء الجيل السابق الذين يمثلون مرحلة شعرية مهمّة أفادتْ التجارب الشعرية الراهنة، وكانت نقطة عبور لها نحو التميُّز والتألُّق والتجديد، ومن ثَمّ فإنّها تمتلك سبقَ التأسيس، وفضل التأثيث الشعري للمنجز الخليجي برمّته".

ويضيف المؤلف بالقول "لا معنى لمشهد شعريّ قائم على الصّوت الواحد أو الخلفية المعرفية نفسها، فالشعر استمرارٌ وتجدّد ورغبة في ممارسة الكشف نحو معنى المعنى، وتحريك السّائد نحو المختلف، ونحنُ في هذا الإطار أمام تجربتين شعريتين اكتفت إحداهما بعدم الخروج عن النسق الكلاسيكي للقصيدة العربية، وانزاحت الأخرى إلى التجديد والتجريب والخروج عن المألوف".

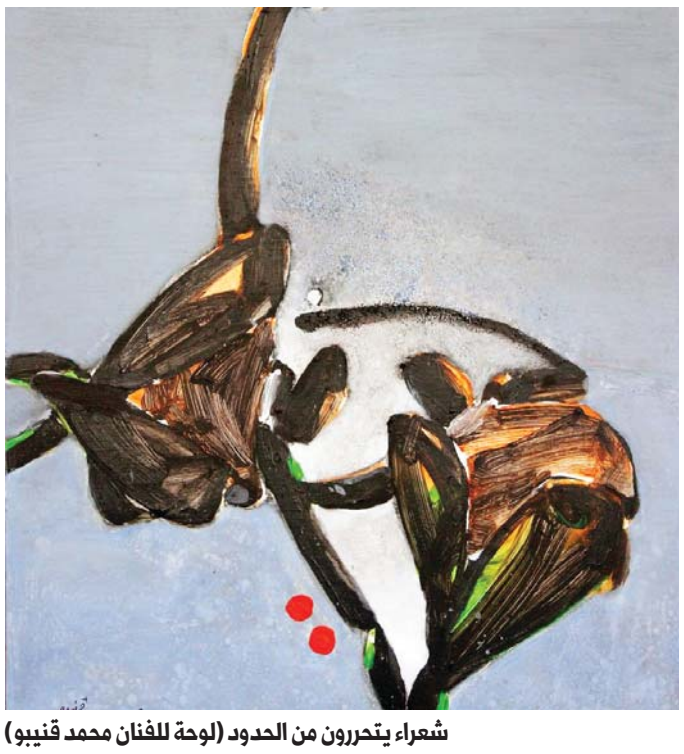

شعراء يتحررون من الحدود (لوحة للفنان محمد قنيبو)

وتناول الباحث في مطلع الدراسة التحوُّلات الإيقاعية في ظل المناهج النقدية المعاصرة والوقوف على إسهامات بعض النقاد العرب المعاصرين في هذا الشأن، على غرار علوي الهاشمي، ومحمود المسعدي، وكمال أبوديب، ومحمد مفتاح، بالتزامن مع النشاط الشعري العربي الذي شهد تحوُّلات لافتة، خصوصا مع بدء الألفية الثالثة التي تزامنت مع تلاشي الحدود الجغرافية بين شعراء الكرة الأرضية ما أتاح تعابرا بين التجارب الشعرية، وهو ما انعكس على المنجز الشعري العربي عموما، والخليجي خصوصا؛ فقد ظهرت القصيدة الومضة، والقول الشعري، وشعر "الهايكو"، إضافة إلى فتوحات نصيّة مستجدّة على صعيد القصيدة النثرية.

وأوضح ضيف الله أن آخر تقليعات الشعر في هذا الشأن يتمثل في "بروز القصيدة التفاعلية الرقمية التي طوّعت تكنولوجيا التواصل الاجتماعي، واستغلّت بذلك النشاط الإلكتروني وتقنياته لصالح القصيدة، فأصبحت تتّخذُ حيّزا رقميا لا متناهيا مفتوحا على الحركة والألوان والموسيقى والمونتاج".

ثمّ تناول في الفصل الأول بنية الإيقاع وأشكاله الأسلوبية، كإيقاع الصوت، وإيقاع التكرار، وإيقاع القافية، مع التمثيل لكلّ شكل إيقاعي بنماذج شعرية خليجية، وصولا إلى الوظائف الأسلوبية للتكرار. ثم خصّص مبحثا لإيقاع البياض.

وتطرّق في الفصل الثاني إلى إيقاع قصيدة النثر وما أحدثه هذا الشكل الجديد من تأثير في المدونة الشعرية العربية، ثم توقّف عند عدد من التجارب الشعرية الخليجية الرائدة في هذا الشأن، على غرار سيف الرحبي، وقاسم حداد، وخلود المعلا، وبروين حبيب، والجوهرة القويضي، وناصر جبران، وحمدة خميس، راصدا الظواهر الإيقاعية التي ميّزت هذه التجربة الجديدة بكلّ تجلياتها مع بروز أسماء مفصلية صنعت الفارق وعبّرت عن حضورها بصوت مسموع في أكثر من محفل.

وأجرى الباحث مقاربة إحصائية لما تمّ تناوله في الدراسة في محاولة لاستقراء الأرقام والمعطيات التي تصبُّ في تثمين التجربة الشعرية الخليجية المعاصرة القائمة أساسا على التنوُّع والتجريب.

وخلص ضيف الله في النهاية إلى تقديم نتائج لهذه الدراسة، تلقي الضّوء على الأسماء المدرجة وتوزيعها القطْري، وتحديد الأصوات الأكثر فاعلية في المشهد الخليجي، إضافة إلى التمثيل الصّوتي الأنثوي الفاعل المواكب للانفتاح والنشاط التكنولوجي، إذ لم يعدْ قاصرا على الحضور "الروتيني" في الفعاليات، وإنّما أضحى ظاهرة قائمة على الكشف والتجاوز نحو العالمية باستغلال الممكنات التكنولوجية، وحتى المؤسّساتية/ المادية، على غرار إنشاء الأكاديميات الشعرية، وتشجيع المبادرات والأفكار التي تصبُّ في صميم الشعرية، كتنظيم الجوائز وتقديم حوافز كبيرة تتناسب ومقام الشّعر.

> الكتاب محاولة لرصد الظواهر والتحوّلات الشعرية في شقّها الإيقاعي خصوصا ما خرج منها من إكراهات العروض الخليلي

يُشار إلى أنّ الباحث بشير ضيف الله، حاصل على شهادة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر، صدر له العديد من الكتب في مجالات الشعر والدراسات النقدية، أهمُّها "نون ووجهك الغارب" (1998)، و"شاهد على اغتيال وردة" (2003)، و"أساليب الشعرية المغاربية المعاصرة" (2018)، و"العولمة وتحوُّلات الكتابة.. من الورقي إلى الرقمي" (2019). وقد حاز على عدد من الجوائز، أهمُّها جائزة كتارا للدراسات النقدية (2017).